

## فخرج وهو لا يعلم إلى أين يأتي

المجهول هو أكثر الأمور إثارة لخوف الإنسان، وشعوره بعدم الأمان. وما الموت بالنسبة له إلا بوابة يعبر منها إلى قمة المجهول، ومن هنا استمد الموت رهبته ورعبه. هذا الخوف من المجهول، وبالتالي من الموت، هو المحور الرئيسي الذي ارتكز عليه كل اختراع للإنسان وكل تقدم واكتشاف علمي. فعلوم الطب تهدف إلى أقصى تأجيل ممكن لمواجهة الإنسان للموت. بينما تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، التي تتطور تطوراً مربعاً في كل لحظة، ينصب عملها في نهاية المطاف على إزاحة الستار عن كل ما هو مجهول، حتى صار الشعار السائد هو "المعرفة قوة" أي أن البقاء في ظلمة المجهول هو الضعف.

هذا الخوف من المجهول لم يصر فقط الحافز وراء كل تقدم الحضارات، ولكنه صار جزءاً لا يتجزأ من التفاصيل الدقيقة للحياة اليومية. فالخرائط، وإرشادات الإستعمال، ومكونات المواد الغذائية المطبوعة عليها، والتنبؤات بالأحوال الجوية، والنشرات الإخبارية وما إلى ذلك تهدف جميعها إلى تجنب الإنسان مشقة اكتشافه للأمر المجهول بالنسبة له بنفسه، وبالتالي تقليل نسب المخاطرة وزيادة الشعور بالأمان. بل أن الإنسان أيضاً تمادى في الانخراط المبالغ فيه في العرافة، والتنجيم، وقراءة الطالع وما إلى ذلك كمحاولة منه لاقتناص الألوهية لذاته بإدعاء قهر المجهول وسبر أغوار الغيب.

ليس الحال هكذا في قوانين السير على دروب الرب. فإن كان قانون العالم القائم على العيان والبرهان والضمان قد انطبع بشدة على الكيان الإنساني حتى جعل كل منظومته تنص على: "لا تخرج قبل أن تعرف أولاً ما أنت خارج إليه"، فإن قانون السماء الذي لا يقيم وزناً للمجهول ينص على: "أخرج أولاً بحركة الإيمان وبعد ذلك تأتي المعرفة". فهذا السيد المسيح نفسه قد أكد على أسبقية الإيمان على المعرفة والفهم عندما قال لبطرس: "لست تعلم أنت الآن ما أنا أصنع ولكنك ستفهم فيما

بعد" (يو١٣:٧). وها هو إبراهيم رجل الإيمان قد وعى هذا القانون تماماً: **"فخرج وهو لا يعلم إلى أين يأتي"** (عب ١١:٨). أما موسى النبي فلم يشترط على الله قبل الخروج أن يمدّه بخطة العمل، والبرامج المسبقة، والجداول الزمنية، وخارطة الطريق بل اشترط عليه: **"إن لم يسر وجهك فلا تصعدنا من هنا"** (خر ٣٣:١٥). ففي حضور وجه الله المستمد من الصلاة القلبية الدائمة الضمان الأوحد كما يقول صاحب المزمور: **"وأنا بليد ولا أعرف. صرت كبهيم عندك. ولكني دائماً معك"** (مز ٧٣: ٢٢-٢٣).

ما أعذبك أيها الإيمان فأنت الترياق الذي يضاد كل خوف من المجهول. أنت الذي تتحطم عند صخرتك كل معرفة الإنسان وتدابيره. أنت الذي تهيء الطريق لحياة التسليم الوديعة. أنت الذي بدونك لا نستطيع أن نرضي الرب. فيا روح الله القدوس أعطنا ثمرة الإيمان حتى إذا جاء ابن الإنسان لعله يجده على الأرض كلها آمين.